

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛

القرآن يعلمنا دومًا كيف نتعامل مع هذه الحياة، وكيف نستفيد منها الخبرات، وكيف ننهل منها نهلاً صحيحًا، وكيف أيضًا نتعامل معها في خضم هذه المتغيرات، فَضَرَبَ لَنَا الْأَمْثَالَ وَالْقِصَصَ فَيَمُنْ طَغَى سرعان ما انتهى، ومن اتقى بقى، في قصص يعتبر منها الإنسان ويأخذ منها الحكم والفوائد، من تلك القصص المهمة قصة قارون مع قومه عندما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مَوْسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: ٧٦]، كان من قوم موسى فبغى وتكبر وتجبر وظلم واعتدى مع أن الله سبحانه وتعالى أعطاه من الكنوز والمال ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦]، المفتاح الواحد من كنوزه يحمله جمع خمسة أو ستة هذا المفتاح فما بالك بتلك الخزائن التي فيها تلك الكنوز، فقال له قومه لا تفرح؛ أي لا تفرح فرح غرور، ولا تعجب وتغتر بما عندك، فإن هذه الدنيا دار غرور ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]، الله سبحانه وتعالى لا يحب من فرح فرح غرور وتجب وتبختر، وإنما الفرح الحقيقي بطاعة الله وبما عند الله وبصلاح خلق الله.

وقالوا له: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ [القصص: ٧٧]، أي لا تترك ما عندك وترميه،

وإنما تعامل معه بطريقة صحيحة ابتغ فيه الدار الآخرة ﴿وَلَا تَسْكُ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]، هذا المال وهذا المنصب وهذه الوجاهة إنما هي من عند الله سبحانه وتعالى، فأحسن فيما أعطاك معه سبحانه وتعالى؛ أحسن بعبادته بطاعته باستغلال ما أعطاك فيما يحبه سبحانه وتعالى، ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧] بأنواعه من قتل وإجرام وسفك لدماء ونهب وبغي ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾، لم يقبل قارون نصيحة الناصحين مع ما فيها من جمال تعبير ووعظ وتذكير، ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨] يعني هذا ليس من عند الله سبحانه وتعالى ولكن أنا أعلم بوجوه المكاسب وأفهم بالطرق التي أستفيد منها الأموال، فتوصلت إلى ذلك، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا﴾ [القصص: ٨٧] بلى يعلم، يعلم عن من قبله كيف هلكوا وكم كانت عندهم من أموال فما نفعتهم، قال: ﴿وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨]، المجرم هو أعلم بنفسه فهو على نفسه بصيرة وأدرى بما فيه، فلا يسأل عن إجرامه لأنه يعلم أنه مجرم مذنب وإن تكبر وأظهر غير ما عنده.

فأراد قارون أن يتباهى بماله وما عنده ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ [القصص: ٧٩] خرج في زينة كبيرة بجذمه وحشمه وبغاله وخيوله وذهبه يمر بين الناس حتى ينظر الناس ما عنده من جاه ومال في مئات من البغال والحيوانات والخدم، فافتتن الناس وانقسموا إلى قسمين:

القسم الأول: الذين يريدون الحياة الدنيا، نظرتهم إلى الدنيا نظرة قاصرة، نظرة مظاهر لم يكن عندهم شيء من العلم، ماذا قالوا؟ ﴿بَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩] يتمنوا ما عند قارون من مال، وذنوا أن هذا الحظ العظيم، ونسوا ما هو الحظ العظيم لما عندهم من جهل وتعلق بهذه الدنيا.

القسم الثاني: أهل العلم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ﴾ [القصص: ٨٠] ينصحون أهل الدنيا ﴿وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ [القصص: ٨٠] ثواب الله في الدنيا من الأجور، وفي الآخرة من الجنان ﴿خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠]، هذه ثلاثة ضوابط مهمة للوصول إلى الثواب العظيم عند الله سبحانه وتعالى: الأول الإيمان، الثاني: الأعمال الصالحة، ولا يستطيع أن يثبت على الإيمان والأعمال الصالحة إلا من كان صابراً وهو الضابط الثالث.

مرت الأيام فحسب بقارون وما عنده من مال ﴿فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١] من الذي يستطيع أن ينصر قارون إذا أراد الله سبحانه وتعالى هلاكه، وعندما أهلكه لو اجتمع جميع من في الأرض فإنهم لا يستطيعون نصرته ومساعدته، فهو عاجز عن نصر نفسه ومن معه عاجزون عن نصره، فهنا أبصر من لم يكن يبصر، وهم أهل الدنيا ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآتُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ [القصص: ٨٢] يعني يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، وذلك لحكمة بالغة ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا

النهيات بجسّن البدايات

www.baynoonanet.net

@Baynoonanet

BaynoonanetUAE

f

BaynoonanetUAE

f

BaynoonanetUAE

f

BaynoonanetUAE

f

BaynoonanetUAE

f

BaynoonanetUAE

f

BaynoonanetUAE

f

BaynoonanetUAE

f

BaynoonanetUAE

العاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة فليصبر، ويكن مؤمناً عاملاً للصالحات، أما غير ذلك فإنه عاقبة مؤقتة في الدنيا وسرعان ما تزول هذه الدنيا، ومن كانت الدنيا همه فرّق الله سبحانه وتعالى له شمله، ولم يؤته من الدنيا إلا ما كتب له، وجعل فقره بين عينيه، ومن كانت الآخرة همه جمع الله سبحانه وتعالى له شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة.

إذا لا تنظر إلى البدايات لكن انظر إلى نجاح النهايات، فهذا مهم جداً، وإنما شرط نجاح النهايات بصحة البدايات.

شرط النهايات تصحيح البدايات

وفاقد الشرط بالمشروط لا يأتي

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم لكل خير، وأن ينفعنا بما سمعنا، وأن يبارك في أهلينا وأموالنا، ويحفظ بلادنا.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

لَخَسَفَ بِنَا ﴿ [الْقَصَص: ٨٢] أنهم لو عملوا مثل عمله وشاركوه في دنياه لخسف بهم لكن أمهلهم الله فأبصروا بعد هلاكه ﴿ وَيَكَاذِبُونَ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿ [الْقَصَص: ٨٢].

وختم الله القصة بقاعدة عظيمة ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿ [الْقَصَص: ٨٣].

هذه القصة العظيمة الكبيرة المهمة في حياة الإنسان تبصره عدة بصائر:

البصيرة الأولى: أن يعلم الإنسان كيف يتعامل مع الدنيا، وأن يجعل الدنيا دار ممرٍّ ومعبراً لا مقرّاً، وما آتاه الله سبحانه وتعالى من مال وجاه ومنصب، فإنما يستخدمه لله وفي الله ولنفع عباد الله ليس بالبغي والطغيان والظلم والعدوان، فهذا يكون كسب ما في الدنيا من خير ويثاب في الآخرة على ما أحسن فيه من أجر وثواب.

البصيرة الثانية: فضل أهل العلم على البلاد وعلى العباد، فإن العلماء يُبصرون ما لا يبصره عامة الناس، فإنهم يرون ويعلمون بما بصّرهم به الشرع، وما هم أعلم به بالواقع، لذلك من المهم جداً أن يعظم ويحترم العلماء، ويؤخذ برأيهم وأقوالهم، أعني بهم علماء أهل الحق والاعتدال والسنة، ليس كل من تصدر للفتوى والعلم أصبح عالماً، فلا بد أن نُميّز بين علماء أهل الحق وعلماء أهل الباطل حتى لا نزل بنا القدم.

البصيرة الثالثة: العاقبة للمتقين، والسعادة للمحسنين، والفوز للمتعلمين، والنجاة للمؤمنين العاملين الصابرين على طاعة الله، إذا من أراد